RESEÑAS

DE LA PUENTE, Cristina & SERRANO, Delfina (eds.). *Activismo político y religioso en el mundo islámico contemporáneo*, Madrid: Ed. Siglo XXI, 2007, 340 páginas.

Esta obra está compuesta de catorce artículos (divididos en cuatro ejes) escritos por especialistas de diversos campos de especialización, como antropología, politología, sociología, etc. En la introducción (pp. IX-XXXIII) las dos editoras trazan el contenido de la obra, situándolo en el contexto apropiado y haciendo unos comentarios generales que pretenden facilitar el entendimiento de la misma para el lector no especializado.

En el primer artículo (pp. 3-26) D. Waines critica las opiniones de pensadores occidentales de primera fila, como, por ejemplo, B. Lewis y S. Huntington, que consideran la violencia algo innato en el islam y, por consiguiente, el choque entre el occidente y la civilización islámica algo inevitable. El autor advierte del peligro de hacer generalizaciones y de dividir el mundo en buenos y malos, pregonando la necesidad de ver los atentados terroristas en su propio contexto y no aislarlos de sus causas, a fin de no caer en la trampa y asimilarse a los terroristas con una suerte de contraataque que no hace sino dañar a gente inocente.

En el segundo artículo (pp. 27-44) E. Arigita aborda el tema de la autoridad religiosa y quién la ejerce en el mundo islámico en general y en el caso de la comunidad musulmana en España en particular. Habla de la relación entre la comunidad musulmana y el estado español, las tentativas de encontrar interlocutores válidos que representen los intereses de la comunidad ante el mismo, y señala el papel del imán como una figura influyente dentro de la comunidad.

R. Peters, en el tercer artículo (pp. 45-61), analiza, entre otros asuntos, la actitud de algunos grupos yihadistas contemporáneos y su adopción de la

otros objetos como amuletos, talismanes, anillos y joyas, utensilios de metal, etc. L.M. Pérez Cañada (pp. 529-548) señala las dificultades que el traductor afronta a la hora de traducir ciertos términos debido a sus connotaciones semánticas, que varían de una cultura a otra. Analiza cómo García Gómez, en su versión de la obra de Taha Husein *al-Ayyām*, reproduce la voz *ʿilm*. El autor también compara la traducción de los versículos coránicos en dicha obra y la traducción de Julio Cortés. J. Pablo Arias (pp. 549-570) traduce al español un sermón islámico, *juṭba*, con la traducción coránica de Julio Cortés como modelo. Acude a la versión de Cortés no sólo para traducir aleyas sino también expresiones de eco coránico presentes en el sermón.

A pesar de algunos errores de transliteración, algunas notas al pie que no corresponden con lo citado en los artículos y, sobre todo, ciertas opiniones con las que no estamos de acuerdo y que preferimos pasar por alto, esta obra es una de las mejores escritas en español sobre el particular. Es enriquecedora, tanto por su volumen, como por la variedad de temas que aborda.

Omar Salawdeh
Georges Mason University, Virginia, EE.UU.

حياة قارة (صنعة وتقديم). **شعر أبي عمران الميرتلي الأندلسي المتوفى سنة 604 هـ. \ 1207 م.**، دار الأمان: الرباط، 2008، 175 ص.

"معراج الميرتلي: سكرة الموت... صنعة حياة"

لا غرو في أن الإحاطة بأخبار التصوف وبأحواله ورجاله غير متأت بأي حال؛ إذ هو تجربة سحيقة الغور، مترعة أبدا بثنائيات الظاهر والباطن: الحياة والموت، القرب والبعد... ولأجل ذلك كله؛ تتأبى الكتابة عنه وتتمنع، وتحمل دائما وشم التوجس، وشم ينطبع به الكاتب عن هذه التجربة حينما يهم بها، أما عندما تهم به فالأمر يزداد صعوبة؛ إذ "كلما اتسعت رؤيته لها، ضاقت عبارته عنها" (كما يقول النفري في مواقفه ومخاطباته) إلا في حالات نادرة كما حدث مع الأستاذة حياة قارة؛ عندما كتبت عن تجربة الصوفي أبي عمران الميرتلي الأندلسي، المتوفى سنة 604 هـ/ 1207 م، وأصدرت كتابا تحت عنوان: "شعر أبي عمران المرتلي الأندلسي، صنعة وتقديم". وهو من إصدار دار الأمان بالرباط سنة 2008، من (175) صفحة من

الحجم المتوسط.

اتسعت رؤية الكتابة للتجربة الصوفية لأبي عمران الميرتلي، واتسعت عباراتها وبحوثها عنه، وأحاطت خُبرًا بسيرته وطريقته وشعره.

ومع أن هذا الكتاب في حاجة إلى قراءتين: أولى أفقية تفصّل في المجهود المحمود الذي بذلته صانعة الديوان والمقدمة له، وثانية عمودية تناقش بعض القضايا والظواهر التي يطرحها الكتاب، ارتباطا بالفكر الصوفي، وبمنهج البحث العلمي الذي تنهجه حياة قارة في مختلف حفرياتها المعرفية عن الأندلس: لغة وشعرا ومقامات وقضاء (نشير هنا على الخصوص إلى الكتب التي أصدرتها: عن أبي العباس بن شكيل، وعن مختصر كتاب الغايات...، ورسالة القضاء وغيرها من الكتب، إضافة إلى المقالات التي نشرت بعضها في مجلة الدراسات اللغوية). ولأن المقام لا يتسع لهذا كله؛ فإننا نوثر الآن تقديم الكتاب الذي بين أيدينا، ونترك ما عداه إلى مقال آخر في أجل قريب.

يتضمن كتاب شعر أبي عمران الميرتلي مقدمة للديوان، وتوطئة لأدب النفس وموقعه في التراث الزهدي، إضافة إلى الديوان الشعري الذي جمعته من (46) مصدرا مخطوطا ومطبوعا. وسنتطرق الآن إلى هذا العمل من خلال النظر في: (1) منهج التقديم والصناعة (2) شعر أبي عمران الميرتلي.

1) المنهج المتبع في الكتاب:

قدمت صانعة الديوان له بمقدمة ضافية وافية من (84) صفحة، وذاك ما يشكل أكثر من نصف حجم الكتاب. استعرضت في المقدمة سيرة الشاعر وهو موسى بن حسين بن موسى، أصله من ميرتلة (Mértola) المعقل المشهور من عمل "باجة"، من الأندلس. ازداد الشاعر سنة 522 هـ، وقد عاصر الدولة الموحدية في أوج عظمتها. "انتقل إلى إشبيلية بعد أن أنهى تحصيل العلم بشريش، واستطاع أن يصل إلى مرتبة علمية تؤهله لمزاولة صناعة التعليم [...] أخذ عنه جماعة، من بينهم الشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي الذي قدم له نسقا من السلوك... أما تلميذه الأخص به فهو أبو بكر محمد بن قسوم [...] تفقه بجلة من علماء إشبيلية، وعلى رأسهم أبي عبد الله بن المجاهد (ت 574). أخذ عنه أبو عمران، وسلك طريقته بعده، وهي امتداد لطريقة المحاسبي". (انظر الكتاب ص. 13-17). إن ما جمعته وما استنتجته المؤلفة عن أبي عمران ليجعلنا نحس أننا فعلا أمام شخصية أندلسية صوفية تركت أثرها في الأوساط الثقافية والدينية بإشبيلية على العهد الموحدي، وتؤكد ذلك الأستاذة حياة عند ما تقول على لسان ابن الزبير عن أبي عمران: "كان واحد وقته، زاهدا في الدنيا، واجتهادا في العبادة، وتمكن الورع الصحيح". وذلك ما يؤكده ابن عربي في أكثر من استشهاد أوردته مؤلفة الكتاب.

تتضمن المقدمة إضافة إلى سيرة أبي عمران بحثا مستفيضا في أدب النفس، وموقعه في التراث

الزهدي، نظرت فيه إلى الأخلاق ومعرفة النفس والدين باعتبارها ''عوالم تتداخل وتتكامل لدى الميرتلي، لتخلق في النهاية تصورا عميقا للبعد الروحي الذي يمثله التصوف في الإسلام'' (ص. 39). وقفّت على آثار هذا البحث بقراءة في شعر أبي عمران ضمن متلازمة الزهد والشعر.

إن قراءتنا للكتاب تجعلنا نقف على المجهود الكبير الذي بذلته صانعة الديوان سواء في التقديم أم الصناعة، مجهود نشيد به ضمن المفاصل التالية: سعة الاطلاع، بناء المعرفة،الاستقراء والتدقيق والاستنتاج.

أ) سعة الاطلاع: وتتجلى على الخصوص في الهوامش التي أثقلت الكتاب، وأغنت مثنه، وأشّرت على قدرة حياة قارة على جمع مادة الكتاب من مختلف المصادر والتوفيق بينها؛ حيث جمعت شعر أبي عمران من (46) مصدرا مخطوطا ومطبوعا، ورجعت إلى أكثر من ذلك العدد لتحرير مقدمة الكتاب. كما أن الهوامش فاقت (282) هامشا حفلت بها صفحات المقدمة فقط. وسعة الاطلاع المرجعية هذه جعلتها تبني معرفة عن أبي عمران وطريقته في التصوف.

ب) بناء المعرفة: تقول: ''وعلى الرغم من شح المصادر التي كانت ستساعدنا في رسم صورة متكاملة عن هذا الشيخ الزاهد، ومعرفة طريقته الصوفية، فإننا استطعنا أن نقوم ببناء معرفة، تكاد تكون متكاملة عنه'' (ص. 13). على أن بناء المعرفة لا يتوقف عند السيرة بل يتعداها إلى النظر في معمارية الديوان الشعري من خلال صنعه أولا. وتأمله وقراءته ثانية؛ قراءة تتشكل من تكاثف قوة الكلمات، تضاف إليها صياغة القارئ (حياة قارة) الخيالية التي تستطيع أن تكتشف سعة هذا الفضاء الروحي الذي هو زهد أبي عمران الميرتلي.

ج) الاستقراء والتدقيق والاستنتاج: لقد أكسبت دربة التحقيق حياة قارة ذلك الحرص على تحري التدقيق والضبط العلميين، وكذا الصرامة والأمانة في النقل. وقد دلت على كل ذلك الذخيرة المرجعية للكتاب. كما أن المؤلفة أغنت الكتاب بفضل الاستقراء الذي مكنها من الإجابة على مختلف الأسئلة المطروحة في التراث الزهدي. وذلك بتتبعها في مختلف المصادر، إضافة إلى التأصيل لها في القرآن الكريم، وهذا لم يغنيها عن عقد مقارنات بين التصوف الإسلامي واليهودي. وذلك ما أهلها كذلك إلى الخروج بخلاصات واستنتاجات مفيدة، نذكر منها تلك المتعلقة بما ذكرته عن معراج الميرتلي: ''يستفاد من كلام ابن العربي أن مقام زهد الميرتلي يمثل أعلى المقامات؛ لأنه مرتبط بالعلم، والمعرفة بالله تعالى، لذلك كانت عبارة: الاستمداد من الحق وإمداد الخلق تشير إلى قربه من الله تعالى، وقربه من الناس، حيث يحمل أعباء شريعة النبي صلى الله عليه وسلم، ليحقق اتصال الأرض بالسماء واتصال التابعين بالمتبوع'' (ص. 62).

2) شعر أبي عمران: قد قامت المؤلفة بصناعة ديوان أبي عمران وثبت قصائده حسب الترتيب الألفبائي للقوافي. ومن خلال قراءتنا للديوان، وإحصاء التيمات التي احتفل بها الشاعر في قصائده ومقطعاته، نجد أننا

نخالف حياة قارة في نظرنا إلى شعر أبي عمران على أنه موغل في الزهد؛ إذ تضمنت أشعاره بعضا من الإحماض؛ ويتجلى ذلك فيما قاله عن الحمّام (مقطعتان) وعن الهر (مقطعتان) وعن التغزل بالغلمان (مقطوعة واحدة). على أن ما أثار اهتمامنا في شعره هو ثنائية الشباب والشيب؛ أو ما يمكن أن نسميه بظاهرة الإحساس بالزمن، وذلك مما يضيق المقام عن التفصيل فيه. على أننا نستنتج خطاطة تيماتية لشعر أبي عمران، نقرن فيها كل تيمة بعدد ترددها في الديوان، ونحسب في الخطاطة أن أبا عمران يقول: أنا رجل زاهد (15)، أحس دنو الموت (7)؛ إذ الشباب فد نأى عني واشتعل رأسي شيبا (5)، ومالي بد سوى الإكثار من العمل الصالح بشكل عام (5), وبشكل خاص: طلب التوبة (5) واعتزال الناس (5) ورد الهدية (5) والبعد عن اللغو (3)...

نختم هذا التقديم للكتاب بمستطاب مستعذب من شعر أبي عمران. يقول في أحدى مقطوعاته:

ولم أطل الشيب والشيب موذن بقرب جماعي وانقضاء شبابي
بكيت على نفس تدانى حِمامها فأفنيت دمعي وانقلبت لما بي
وليس بكائي رهبة الموت إنما أخاف بذنبي أن يطول حسابي

وله عفا الله تعالى عنا وعنه:

يا من إليه جميع الخلـــق يبتهل فيك الرجاء ومنك الخوف والوجل
حقق رجائي وأمّن ما أخاف غـــدا بحيـــث لا قوة تنجـــي ولا حيل
ومن بالعفو يا مولي منك وإن جلّت ذنـــوبي وساء القـــول والعمـــل

نحس فعلا أننا أمام كتاب جدير بالقراءة، بل وبقراءات تتعدد بتعدد أنفس الخلائق كما يقول المتصوفة الكرام؛ وبذلك وجب الختام.

أحمد بوغلا
جامعة قادس

MARTÍNEZ ANTONIO, Francisco J. *Intimidades de Marruecos. Miradas y reflexiones de médicos españoles sobre la realidad marroquí a finales del siglo XIX*. Madrid: Miraguano Ediciones, 2009, 366 págs.